الأمة

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العدد السادس – السنة الثانية 1990

الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

مؤسس

أكاديمية الكوفة

هولندا

المراسلات

KUFA ACADEMY
POSTBUS 1113
3260 AC OUD - BEYERLAND
NEDERLAND
www.almawsem.net
www.shiaparliament.com

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز اطلاع رسانی

۱۳۸۹/۱۰/۲۲

Shiabooks.net

مع النجوم الغوارب

*

أحمد عبيد

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(أحمد عبيد) علم مشهور في عالم الكتب العربية ، وما تزال مكتبته (المكتبة العربية) بدمشق من أقدم المكتبات العربية عمراً ، والتزاماً ، بالقيم والتقاليد والمثل التي جُبل عليها أجدادنا العرب في فن الوراقة ، وأحمد عبيد فلتة نادرة من محاسن هذا الفن العربي ، ومن يعرفه على حقيقته يُجلّه ويعظمه على رسوخ فكره وعمق ممارسته مع حكمة وتدبر في العمل وإتقان في الصنعة والسلوك المثالي في تداول الكتب وتصريفها وفي التعامل بها بما يوجبه الشرع الأقدس ، ويرتضيه العرف ويرشد إليه العقل وتقره الإنسانية . . مَن يتميز ذلك في أحمد عبيد ـ الذي توثقت معرفتي به منذ اللقاء الأول عام ١٩٨٠ ـ يجد فيه (ابن النديم) وقد عاد إلى عصرنا الذي ضاعت فيه الموازين وعم الصخب أرجاءه الواسعة فخشي على مكنوناته من الفوات وحرص على (فهرسته) في ذاكرته . . تلك الذاكرة العبيدية العجيبة بل المعلمة الحيّة التي كمنت فيها مفردات تراثنا من قبل أن تتلقفه الآلة الصماء فاستغلها من استغلها إستدراراً لمعلوماته وإستمطاراً لبحوثاته وأثر بذلك زميله الزركلي ورفيقه كرد علي وغيرهما من نبهاء وقته . . وبقيت تلك الذاكرة ـ التي أنتجت أول تقويم حائطي ـ روزنامة ـ في الوطن العربي عام ١٩١٧ ، والشخصية التي أنتجت عشرات الكتب وكانت بحق من السدنة الأمناء على تراثنا الإسلامي ـ في مطاوي النسيان حتى أزفت ساعة الرحيل إلى بارئها ، وانتهى نبض حركاتها المرنانة ـ ولا بد يوماً أن يتم العدد ـ فلحقت بالرفيق الأعلى في الثالث عشر من مايس عام ١٩٨٩ .

في ذكراه أُقدِّم ترجمته لنفسه بقلمه وفيها من تجليات الصدق ومعاني العبرة ما يدعو للتمثل بسلوكيته والثناء لروحيته :

أنا أحمد بن محمد حسن بن يوسف بن الحاج عبيد بن سلمان ، الدمشقي الحنفي :

ولدتُ في ذي الحجة ١٣١١هـ ـ ١٨٩٣م ، وتوفي والدي وأنا دون الرابعة من عمري ، وكان لي من الأشقاء أربعة كنت أصغرهم ، ولم يتجاوز أكبرهم العشرين ، فتولتنا الوالدة برعايتها .

تعلمت في بعض المدارس الأهلية ، أذكر منها المدرسة الريحانية التي كان من أساتذتها الشيخ أبو الخير الطبّاع (انظر الأعلام ٦ : ١١٩) الذي أسّس المدرسة العلمية الوطنية بدمشق سنة ١٣٢٥هـ ـ ١٩٠٧م . ولم انتفع من أحد ما انتفعت منه ، إلى أن توفي سنة ١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م عن إحدى وثلاثين عاماً ، رحمه الله وأثابه .

لم يطل مكوثي في «المدرسة الريحانية» وغادرتها إلى «المدرسة العثمانية» ثم إلى «المدرسة السلطانية» (وهي مكتب عنبر) لتؤهلني للدخول في «المدرسة الطبيّة» كما كان يرغب لي وليّ أمري ، أخي الأكبر . ولكني لقيت من ظلم بعض المعلمين الأتراك وعجرفتهم ، مع إصرارهم على تدريس جميع المواد ـ بما فيها اللغة العربية ـ باللغة التركية ما أرادني على ترك مكتب عنبر ، فكان ذلك آخر عهدي بالمدراس .

لم أتلقَّ من الأساتيذ بعد ذلك شيئاً من العلوم إلا ما كنت أطالعه لنفسي ، أو أستفيده من مجالسات العلماء ومطارحات الأدباء . ومن ثمَّ أولعت بمطالعة الكتب الأدبية ودواوين الشعراء ، فحملني ذلك الولوع على إتخاذ بيع الكتب سبباً من أسباب الرزق .

أسّست «المكتبة العربية بدمشق» في سنة ١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٨ ، وشرعت أطبع بعض الرسائل والروايات ، منها «تخميس لاميّة ابن الوردي» لابن الملّاح ، كما أصدرت مجلة «أنفس النفائس» التي صدر منها تسعة أعداد في سنة ١٣٣٠هـ ـ ١٩١١ .

في أواخر سنة ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤ دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا ، وعرفت بـ «السفر برلك» ، ودعيتُ وبعض إخوتي إلى تقلّد السلاح . فاضطررنا إلى ترك محلاتنا التجارية وسلوك سبيل الجندية . وما برحنا ننقلب مع الريحين زعزعٍ ورخاء ، كما يقول الحريري ، نحلّ تارة ونرتحل أخرى ، حتى أطفأ الله وقدة تلك الحرب ، فخبا سعيرها وانطلق أسيرها ، فعدت إلى إستئناف العمل ، وجدّدت «المكتبة العربية» .

وكنت قد بدأت بإصدار مفكرة الجيب الهجرية في سنة ١٣٣٥هـ ـ ١٩١٦م ، وشفعتها بتقويم الحائط (الروزنامة) ، وهو أول تقويم يصدر في سورية ، ثم عززتهما بمفكرة الجيب

الميلادية ، فعمَّ رواج الجميع أنحاء البلاد العربية ، لما تحويه من المختارات الأدبية والعلمية والتاريخية والفكاهية المفيدة ، مع بثّ الروح الوطنية والخلقية والآداب الإسلامية . ثم إنضم اليّ أخواي توفيق وحمدي (أنظر الأعلام ٢ : ٢٧٥) فأصبح عنواننا (إلى حين وفاتهما) : «المكتبة العربية لأصحابها عبيد إخوان» وكان لي منهما خير ظهير ومعين ، تغمدهما الله برحمته .

وانفتحت أبواب العالم على الشام ، لا سيما أبواب مصر ، التي كادت تكون المورد الوحيد للمطبوعات العربية ، وشرعنا في جلب ونشر ما نراه مفيداً ، فكنت لا أبيع كتاباً حتى أفحصه وأرجّح أن لا شذوذ فيه ، سواء من ناحية الشرع والأخلاق أو ناحية السياسة ، وربما طلب مني الكتاب غير المفيد فأصرف عنه طالبه أو أهديه إلى ما هو خير منه .

وبذلك أصبحت «المكتبة العربية» مراد كلّ طالب معرفة ، ومثابة كلّ مفيد ومستفيد ، وندى الجمهرة الناشئة والنابهة من أهل العلم والأدب والشعر ، وأصحاب القدر والمنزلة من رجالات الشام والطارئين عليها .

وفي سنة ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٧م ، في أعقاب قذف الفرنسيين دمشق بالقنابل ، وتخريب أحيائها ، وإحراقها ، رحلت إلى القاهرة وأنشأت فيها فرعاً للمكتبة العربية في شارع الإستئناف ، بجوار المطبعة السلفية ومكتبتها ، التي كانت مجتمعاً للنخبة الراقية من الفضلاء ، أمثال أحمد تيمور باشا ، والمشايخ محمد بَخِيت المطيعي ، ومحمد الخضر حسين التونسي ، وإبراهيم أطفيّش الأباضي ، ومحب الدين الخطيب ، فكنت أتحيّن إجتماعهم لأستمع إليهم وأقتبس من مشكاة فوائدهم .

في سنة ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٨م أكرمني الله تعالى فأدّيت فريضة الحج بصحبة والدتي ، رحمها الله ومنَّ علينا بالقبول .

وبعد لأي ما ، أوصدتُ فرع المكتبة بالقاهرة ، وأوسعت أعمالها في دمشق ، فأصدرت طائفة من الكتب والرسائل التي رجّحت نفعها والإفادة منها ، وكل ذلك كان بإشرافي وتحقيقي ، أو جمعي وتعليقي . كما كنت أقترح التأليف في موضوع ، وأشترك فيه ، من غير إشارة مني إلى ما صنعت . وإنّ منهم من كان يشيد بفضله حين ينوّه باسمي فيما ينشر من أثر ، كما صنع الصديق الأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي ، في خاتمة المطاف من «سيرة أحمد بن طولون» التي وليت طبعها ونشرها ، إذ قال : «وأكبر الفضل لصديقنا الأستاذ أحمد عبيد ، فإنه أعاد النظر في الكتاب من أوّله إلى آخره ، ودقّق فيه تدقيقاً بليغاً ، فردّ بذلك معظم

نصوص المخطوط إلى نصابها من الصواب» .
وكذلك فعل الصديق المؤرِّخ الشاعر خير الدين الزركلي في كتابه «الأعلام» حين بثَّ اسمي في أكثر من مائة وستين موضعاً من تعليقاته ، كما ذكرني في المقدِّمة حين قال :

«أهدى إليَّ الصديق الوفيّ السيد أحمد عبيد (أحد أصحاب المكتبة العربية في دمشق) ، وهو أعلم الناس اليوم بمخطوط الكتب ومطبوعها ، نسخته الخاصّة من الطبعة الأولى ، وكانت بين يديه نحو عشرين عاماً ، يعلق عليها بما يقع له من مخطوط ومطبوع وغريب وطريف . وأضاف إلى هذا أن أتاح لي مطالعة مجموعة مما ظفر به من قديم المخطوطات ونادرها ، وحمل عني عبء إستخراج الخطوط المكنوزة في خزائن دمشق ومكتباتها ، وتولّى قراءة هذه الطبعة ، في فترة إشتغالي بإعداد المستدرك ، فنبَّه إلى ما وقف عليه من خطأ الطبع ، وأضاف تعليقات مفيدة ، أثبتها في المستدرك منسوبةً إليه» .

لا أنقل هذا ، إدلالاً به وفخراً ، بل دلالةً على مروءة الكاتب ، وحسن وفائه ، وشكراً ، وكم رأيت في الناس من جحود . .

أمّا ما قرأته من كتب ، فمن النادر ألا تقع عيني فيه على خطأ ، أبادر إلى تصحيحه ، أو أضع بحيّزه إشارة الإستفهام إن لم أتحقق من صحته ، ثم يُطوى الكتاب أو يُباع ، فلم يكن من شأني أن أنشر الهفوات أو أعلن السقطات إلا لأصحابها أو طابعيها ، إبتغاء إصلاحها ، ورحم الله امرءاً أهدى إليَّ عيوبي .

على أنني ، منذ بداية أمري ، نشرت في الصحف بعضاً من قصائدي الحماسية ، الداعية للوحدة العربية ، والمفنّدة للأحداف والأساليب الإستعمارية ، بتوقيع «أبو الطيّب» ، وكذلك بعض المقالات النقدية ، بتوقيع «ابن رشيق» .

ولشدَّ ما شدَّ أزري ، الصفوة من الأساتيذ والإخوان ، بإطلاع بعضنا بعضاً على ما يعمل ، قبل أن يطلع على الناس . فإن غرّب أحدنا على الآخر في بعض الكليات ، نزعنا إلى أمّهات الأصول والمراجع ، نستفتيها ونستفتحها وننزل على حكمها ، فتكون لنا نعم المسدّد والمرشد إلى الصواب . وأكثر ما نفعني في هذا ، مجالستي الشيخ محمد رضا الشبيبي ، الشاعر العراقي ، حين إقامته الطويلة بدمشق ، إذ كان يقضي سحابة نهاره في مكتبتي ، يسمعني وأسمعه بعض ما يمنُّ لنا من طرائف وعوارف أثناء المطالعة . ولو أنني ذهبت أذكر كل من كان لي صلة مماثلة من أعلام العرب والمستشرقين ، لما أحسبتني الصفحات الكثر ، علماً بأنني

ما انتسبت في حياتي إلى أي حزب أو جمعية مهما تكن مناهجها وألوانها ، بل كان الله وحده هو الصمد والمستعان .

عالم أحمد عبيد واسع جداً والتواضع ونكران الذات صفة ملازمة له ، يكفيك من مآثره أنه رفض عضوية المجمع العربي مفضلاً العمل بصمت والبعد عن الأضواء ، وتلمست منه هذه الحقيقة بنفسي وإن شئت أن تعرف قيمته العلمية فاقرأ شهادة أحد كبار الباحثين في العالم العلامة الهندي الراحل عبد العزيز الميمني حيث يقول في مجالسه :

«.. رأيت تعليقات من ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان على صحاح الجوهري وكانت تلك النسخة لدى صديق لي وهو الأستاذ أحمد عبيد الذي له دار للكتب في شارع غسّان وهو الرجل الوحيد في العالم الذي هو بائع للكتب وعالم للغة العربية في نفس الوقت ، فرأيت أنه يراجعه كثير من الباحثين ويستفسرون منه عن مسائل كثيرة ، ولا بأس في أن نفترض بكونه «ياقوتاً الحموي» لعصره الذي كان يبيع الكتب ويشبع الحاجات العلمية للعلماء والباحثين ..»

كتاب مجالس الميمني ـ تحقيق الدكتور مختار الدين أحمد ص٨٤ ـ ٨٥ الهند ١٩٨٦م.

آثاره المطبوعة :

وجميعها من تأليفه أو جمعه أو تحقيقه ، وتولاّها بنفسه طباعةً ونشراً :

١ ـ تخميس لاميّة ابن الوردي ، لابن الملّاح ، دمشق ١٣٢٧هـ ـ ١٩٠٨م .
٢ ـ حديقة الولهان ، دمشق ١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م .
٣ ـ مجموعة القصائد ، دمشق ١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م .
٤ ـ ديوان أبي الحسن الشيخ محمد خير الطبّاع ، دمشق ١٣٣٠هـ ـ ١٩١٢م .
٥ ـ الروايات الشحرية التي ينشدها الشيخ سلامة حجازي ، دمشق ١٣٣٠هـ ـ ١٩١٢م .
٦ ـ مجلة أنفس النفائس ، صدر منها تسعة أعداد بدمشق ١٣٣١هـ ـ ١٩١٣م .
٧ ـ المسائل الشرعية في الأحكام الفقهيّة ، مدرسي ، دمشق ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م .
٨ ـ شهداء الإنتقام وجريح بيروت ، دمشق ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م .
٩ ـ الأمثال الدارجة ، دمشق ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤ .
١٠ـ المسائل النفيسة الحسان في مذهب أبي حنيفة النعمان ، دمشق ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م .

١١ـ فرائد الفوائد فيما يجب على التلميذ من العقائد ، مدرسي ، دمشق الطبعة الثالثة ١٣٣٣هـ ـ ١٩١٥م .
١٢ـ الأسماء الإنكليزية بالأحرف العربية ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٣٣٧هـ ـ ١٩١٩م .
١٣ـ مشاهير شعراء العصر (شعراء مصر) ، دمشق ١٣٤٠هـ ـ ١٩٢١م .
١٤ـ طرائف الحكمة ، الجزء الأول ، القاهرة ١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٤م .
١٥ـ كلمات المنفلوطي ، دمشق ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م .
١٦ـ سيرة عمر بن عبد العزيز ، لابن عبد الحكيم ، القاهرة ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٧م .
١٧ـ طرائف الحكمة ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٧م .
١٨ـ روضة المحبّين ونزهة المشتاقين ، لابن قيّم الجوزيّة ، دمشق ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٧م .
١٩ـ أحكام النظر ، دمشق ١٣٤٨هـ ـ ١٩٣٠م .
٢٠ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر (تاريخ دمشق) ، لبدران ، الجزء السادس ، دمشق ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣١م .
٢١ـ نزهة العمر في التفضيل بين البيض والسرد والسمر ، للسيوطي ، دمشق ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣١ .
٢٢ـ المراح في المزاح ، للبدر الغزّي ، دمشق ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣١م .
٢٣ـ المُعيد في آداب المفيد والمستفيد ، للعَلْمَوي ، دمشق ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣١م .
٢٤ـ طبقات الحنابلة ، لابن أبي يعلى ، دمشق ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣١م .
٢٥ـ الأرَجُ في الفَرَجْ ، للسيوطي ، دمشق ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣١م .
٢٦ـ الآية الكبرى ، شرح قصة الإسراء ، للسيوطي ، دمشق ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣١م .
٢٧ـ سحر البلاغة وسرُّ البراعة ، للثعالبي ، دمشق ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣٢م .
٢٨ـ تهذيب ابن عساكر (تاريخ دمشق) ، لبدران ، الجزء السابع ، دمشق ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م .
٢٩ـ الأحنف بن قيس ، تلخيص ، دمشق ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م .
٣٠ـ ذكرى الشاعرين : شوقي وحافظ ، وما قيل فيهما ، دمشق ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٣م .
٣١ـ فتاوى شيخ الإسلام ، للأنصاري ، دمشق ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م .
٣٢ـ ترجمان اللغات الثلاث : العربية والفرنسية والإنكليزيّة ، دمشق ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤٠م .
٣٣ـ الشهاب الثاقب في ذمّ الخليل والصاحب ، للسيرطي ؛ دمشق ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٨م .
٣٤ـ الحِكَم العطائيّة، لابن عطاء الله السَكَنْدَري ، دمشق ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .

٣٥ـ نشر ما انطوى ، من نظم أحمد عبيد (ديوان شعره) ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

اثاره المخطوطة

٣٦ـ الوجوه والنظائر ، لابن الجوزي .
٣٧ـ كتاب النساء وما يتعلق بهنّ ، لابن الجوزي .
٣٨ـ نور الإقتباس من مشكاة وصيّة النبي ﷺ ، لابن عبّاس .
٣٩ـ ذخائر الحكمة ، لابن دريد ، عن النسخة الوحيدة .
٤٠ـ معجم الأمثال والحكم .
٤١ـ نُقول موجزة .
٤٢ـ مثير العزم الساكن إلى أشرف المساكن ، لابن الجوزي ، جزءان .
٤٣ ـ البرّ والصلة ، لابن الجوزي .
٤٤ـ سلوان المطاع ، لابن ظفر الصقّلي المكّي .
٤٥ـ الجواهر الزاهرة من العقود الفاخرة .
٤٦ـ مختار الصحاح ، مقابلة على مخطوطتيّ الصحاح في اللغة ومختار الصحاح
٤٧ـ السياسة الشرعية ، لابن تيمية .
٤٨ـ كتاب بدائع البدائة ، لعلي بن ظافر الأزدي .
٤٩ـ الإعتصام بالعزلة ، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطّابي .
٥٠ـ النافع في كيفية النطق بالفعل المضارع ، لأبي الفتح البعلبكي .
٥١ـ كتاب الفقيه والمتفقّه ، للخطيب البغدادي .
٥٢ـ رحلة الإمام الشافعي .
٥٣ـ ديوان الإمام الشافعي .
٥٤ـ شرح أسماء الله الحسنى ، عن مخطوطات للسيوطي والسنوسي الحسني وزرّوق وابن العربي .
٥٥ـ عقلاء المجانين .
٥٦ـ الزهرة .